الحياة الاقتصادية في العراق من خلال كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي ت(٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)

د. حسين كاظم خيون
المديرية العامة للتربية في محافظة ديالى/ تربية المقدادية

الملخص

تضمن موضوع البحث الموسوم (الحياة الاقتصادية في العراق من خلال كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي، ت(٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) عدة مباحث ، تناول المبحث الاول نبذة مختصرة عن حياة ياقوت الحموي ونشأته ومراحل حياته التي مر بها والمهن التي عمل بها ورحلاته إلى الكثير من البلدان وتطور خبراته الجغرافية وشروعه بكتابة معجمه الجغرافي الكبير، موضحاً البلدان وأخبارها، إلى أن استقر به الحال في مدينة حلب التي توفي فيها بعد انجازه كتابه المعروف (معجم البلدان).

أما المبحث الثاني الذي تضمن تسمية العراق وموقعه وحدوده استناداً إلى ما ذكره ياقوت الحموي معززاً بها ذكره المؤرخون عن أصل التسمية وتوضيح مفهوم أرض السواد الذي اختلف فيه المؤرخون ، بالإضافة إلى تحديد موقع العراق وموقعه من الأقاليم السبعة، وبيان حدوده ومساحته التي أشار إليها ياقوت الحموي.

في حين تطرق المبحث الثالث إلى محور البحث الحياة الاقتصادية للعراق، بما فيها الموارد المائية ومصادرها وأهميتها للانتاج الزراعي، مبيناً أهم أنواع المحاصيل في العراق وفي المقدمة منها زراعة وانتاج التمور الذي يُعد العراق في مقدمة البلدان ، وأكثرها زراعة وأنتاجاً، فضلاً عن المحاصيل الأخرى كالحبوب وأشجار الفواكه والبساتين المنتشرة في عموم مناطق العراق. كما تناول المبحث مقومات الصناعة وأهم الصناعات التي أشار إليها ياقوت الحموي في سياق كلامه عن مناطق العراق، فضلاً عن

التجارة وطرق المواصلات وأهميتها في الحياة الاقتصادية التي عاصرها ياقوت الحموي وكتب عنها في كتابه المشهور (معجم البلدان)، باعتبارها حلقة وصل بين الشرق والغرب التي تربط العراق مع البلدان الأخرى والتي أدت بالنتيجة إلى ازدهار الحياة الاقتصادية والتي انعكست إيجاباً على الحياة الاجتماعية والمالية للدولة والمجتمع.

المقدمة

إن موضوع بحثي الحياة الاقتصادية في العراق من خلال كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي، ت(٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)

تكمن أهمية دراسة الحياة الاقتصادية في العراق كونه يمثل أهم المراكز الاقتصادية التي اعتمدت عليه الدولة العباسية وأمتلك المقومات الاقتصادية المهمة التي لعبت دورها الفاعل في الحياة العامة للدولة والناس، إذ شهدت الحياة الاقتصادية تطوراً واضحاً في المجالات الزراعية والصناعية والتجارية ونالت اهتمام ياقوت الحموي في سياق حديثه عن مدن ومناطق العراق المختلفة، ومما يؤكد هذا الاهتمام هو كتابته تفاصيل مهمة عن موارد العراق المائية كالأنهار والاهوار والعيون والابار والقنوات التي تسقي الاراضي الزراعية، وسعة المساحات الصالحة للزراعة، حتى أصبح العراق في عهد ياقوت الحموي بلداً مزدهراً بإنتاج أنواع المحاصيل الزراعية، وأصبحت بغداد ومدنه ومناطقه نقاط للتبادل التجاري وتداول هذه المنتجات، وانتشرت الاسواق، وأصبحت تمتاز بشهرة تجارية واسعة، وطرق للقوافل التجارية التي تربط جميع هذه المناطق مع بعضها ومع البلدان المجاورة.

وتبرز أهمية البحث في بيان ما تناوله ياقوت الحموي من تفاصيل مهمة عن الحياة الاقتصادية في العراق والتي لم تنال الاهتمام من الباحثين في هذا المجال، ولتسليط الضوء على هذه المعلومات وإعطاء صورة تاريخية عن الاهمية الاقتصادية للعراق وإبراز معالمه في ذلك، تم اختياري لموضوع البحث أعلاه ، وتبرز أهمية البحث، أن المعلومات التي ذكرها ياقوت الحموي ما تزال الكثير منها قائمة حتى وقتنا الحاضر.

ومن أجل معرفة أشمل لتلك المعلومات فأني قسمت البحث إلى عدة مباحث، وهي كما يأتي:

المبحث الاول: نبذة مختصرة عن حياة ياقوت الحموي، شملت نشأته وحياته ومهنته ورحلاته حتى وفاته في مدينة حلب.

المبحث الثاني: تطرق إلى معنى وتسمية العراق، موقعه، حدوده، كما ذكره ياقوت الحموي معززاً بما أشار إليه المؤرخون.

المبحث الثالث: تناول هذا المبحث الحياة الاقتصادية في العراق وشمل:

أ- الموارد المائية

ب-الزراعة

ت-الصناعة

ث-التجارة

ج-طرق المواصلات

المبحث الاول: نبذة مختصرة عن ياقوت الحموي

هو ياقوت بن عبد الله، رومي الأصل، حموي المولد، بغدادي السكن، الملقب شهاب الدين [١]. رحالة جغرافي، أديب ، شاعر، لغوي، نحوي، عالم بتقويم البلدان [٢].

ولد في مدينة حماة وقيل ببلاد الروم في العام (٥٧٤هـ/ ١١٧٨م)، لقب بالحموي نسبة إلى مدينة حماة، أشتراه ببغداد تاجر اسمه عسكر بن أبي نصر البغدادي، عاملة معاملة الابن وتعلم القراءة والكتابة، وأخذ ياقوت يتردد على المكتبات يقرأ الكتب وسافر إلى الكثير من الدول لأغراض التجارة، وكان أثناء رحلاته يدون ملاحظاته عن الأماكن والبلدان والمساجد والقصور والحكايات والاساطير والغرائب والطرائف.

وفي العام (٥٩٦هـ/ ١١٩٩م) أعتقه مولاه عسكر [٣] . وفي العام (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) فتح دكاناً متواضعاً بحي الكرخ ببغداد ينسخ فيه لمن يقصده من طلاب العلم، عندما بلغ ياقوت خمسة وعشرين عاماً من العمر وتمكن من العلوم المختلفة وشعر أن خبراته الجغرافية قد نضجت؛ عاود السفر مرة أخرى، وعمل في تجارة الكتب وسافر إلى الشام وخراسان وغيرها من البلدان [٤].

بدا ياقوت انجاز مشروعه الكبير لتأليف معجم جغرافي يدون فيه أسماء البلدان ومما سمعه ورآه عنها محققاً أسماءها، ذاكراً لموقعها الدقيق، مراعياً الدقة والتحقيق ذاكراً خطوط الطول ودوائر العرض، موضحاً تاريخها وأخبارها.

وفي حلب أستقر ياقوت وبدأ بتدوين وتجميع معجمه الشهير، ووجد الكثير من الاهتمام والترحيب من واليها جمال الدين القفطي الذي رحب به وجعل له راتباً من بيت المال، وقضى في مدينة حلب خمس سنوات، أنهى فيها الكتابة الأولى لمعجم البلدان، ثم عاود سفره إلى العراق وبلاد الشام وظل يصحح بمعجمه (معجم البلدان) بالإضافة إلى تصانيفه الأخرى كتاب (معجم الشعراء) وكتاب (معجم الأدباء) وكتاب (الدول) وكانت له أهمية عالية في تحصيل المعارف حتى وفاته في يوم الاحد العشرين من شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة، في الخان بظاهر مدينة حلب [٥].

وكان قد وقف كتبه على مسجد الزيدي الذي بدرب دينار ببغداد، وسلمها إلى الشيخ عز الدين أبي الحسن علي بن الأثير صاحب التاريخ الكبير (الكامل في التاريخ) فحملها إلى هناك، وأضاف ابن خلكان قائلاً: ((وقدمت حلب للاشتغال بها في مستهل ذي القعدة سنة وفاته، وذلك عقيب وفاته، والناس يثنون عليه ويذكرون فضله وأدبه، ولم يقدر لي الاجتماع به))[٦].

المبحث الثاني: العراق ، التسمية ، الموقع ، الحدود

أوضح ياقوت الحموي في معجمه بخصوص العراق المشهور وأصل تسميته بأن العراق سمي بذلك نسبة إلى عراق القرية وهي الخزر المثني الذي في اسفله أي إنها أسفل أرض العرب أي أنه سفل عن نجد من أرض الجزيرة العربية ودنا من البحر وقيل سمي العراق عراقاً لأنه على شاطئ دجلة والفرات مداً حتى يتصل بالبحر على طوله، ويقال بل هو مأخوذ من عروق الشجر والعراق من منابت الشجر فكأنه عرق [٧]

أما البكري ت (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) فأشار إلى ان العراق سمي عراقاً أنه من عراقي الدلو وعراق القرية [٨] . وسمي عراقاً لأن أسمه بالفارسية إيران فعربتها العرب وقالوا: عراق، وقيل سمي عراقاً لاستواء أرضه وخلوها من جبال تعلو وأودية تنخفض، وقيل غير ذلك، وسمي بالعراقين ، الكوفة والبصرة، لأنهما محال جند المسلمين بالعراق[٩] . ويرى الباحث أن أصل التسمية لاستواء أرضه وخلوها من الجبال والاودية.

أما مساحة العراق فاختلف المؤرخون في تحديدها وتحديد أرض السواد، فالسواد يراد به رساتيق (مناطق) العراق وضياعها التي أفتتحها المسلمون على عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وسمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والاشجار، وكانت

أرض السواد متاخمة لجزيرة العرب التي لا زرع فيها ولا شجر، كان العرب إذا خرجوا من أرضهم ظهرت لهم خضرة الزرع والأشجار فيسمونه سواداً (١٠).

أما موقع العراق فقد جاء في كلام ياقوت الحموي أن الكرة الأرضية مقسمة إلى سبعة أقاليم، وجعل موقع العراق بما فيه البصرة وواسط والكوفة وبغداد والانبار وهيت والجزيرة ضمن الاقليم الثالث (١١).

ومقدار الربع من العراق بقع في الإقليم الرابع بما فيها دسكرة الملك وجلولاء وقصر شيرين (١٢).

فموقع العراق يعني بيان حدوده والاراضي التي يشتمل عليها والتي تعد جزءاً من أقليمه أو ظهيراً له، حيث أن الأراضي التي يشغلها لها علاقات اقتصادية وسياسية واجتماعية متداخلة مع المناطق الاخرى.

ومن خصائص العراق المتميزة التي عددها ياقوت الحموي، أنه اعدل أرض الله هواء وأصحها مزاجا وماء، فلذلك كان اهل العراق أهل العقول الصحيحة والآراء الراجحة والشمائل الظريفة والبراعة في كل صناعة مع اعتدال الأعضاء واستواء الأخلاط وسمرة الألوان (١٣).

أما حدود العراق ومساحته فاختلف فيه، فحدد ياقوت عرض العراق من جهة خط الأستواء واحد وثلاثون جزءاً وطوله خمسة وسبعون جزءاً وأكثر البلاد عرضاً من خط الاستواء (عكبران) على غربي دجلة وذلك آخر ما يقع في الإقليم الثالث من العراق ومن بعد عكبران إلى حلوان. وحلوان هي اخر مدن العراق ومنها يصعد إلى الجبال، وليس بالعراق مدينة بالقرب من الجبل غيرها، وهي في سفح جبل مطل على العراق بينها وبين بغداد خمس مراحل (١٤).

والعراق ما بين حديثة الموصل إلى عبادان طولاً، وما بين عذيب القادسية إلى حلوان عرضاً (١٥).

وحد السواد يكون مائة وستين فرسخاً، (الفرسخ- ٤٧٥٢م) وأما العراق فطوله يقصر عن طول السواد ويبلغ مائة وخمسة وعشرين فرسخاً وعرضه مستوعب لعرض السواد، ثمانون فرسخاً (١٦).

أما حد العراق فقال بعضهم العراق هو السواد الذي حدده ياقوت، وقال ياقوت وهو الصحيح عندي [١٧].

أما أبي الفداء ت(٧٣٢هـ/ ١٣٢١م) فحدد العراق مقارباً لتحديد ياقوت ، فمن جهة الغرب الجزيرة والبادية ومن الجنوب البادية وبحر فارس (الخليج العربي)، وحدود خوزستان (الأهواز). من الشرق حدود بلاد الجبل إلى حلوان ومنها إلى الجزيرة العربية ذاكراً وقوع العراق على ضفتي دجلة شمالاً وجنوباً ومن الحديثة على دجلة إلى عبادان، وموقع حلوان في وسط الحد الشرقي [١٨].

أما البكري (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) فحدد طول أرض السواد من حد أرض آشور (الموصل) إلى فرات البصرة ويكون ذلك مائة وخمسة وعشرين فرسخاً، وعرضه من حلوان إلى العذيب مما يلي البادية بالفراسخ ثمانون فرسخاً [١٩].

في حين ذكر ابن حوقل (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) طول العراق من حد تكريت إلى عبادان وعرضه من القادسية على الكوفة وبغداد إلى حلوان، وعرضه بنواحي واسط إلى قرب الطيب، ويطيف بحدود تكريت فيما يلي المشرق حتى يجوز بحدود شهرزور (السليمانية) ثم يمر بحدود حلوان السيروان والطيب والسوس حتى ينتهي إلى حدود جبي، ثم إلى البحر فيكون الحد من تكريت إلى البحر تقويس ومن وراء البصرة في البادية ثم سواد البصرة وبطائحها (أهوارها) إلى واسط، ثم سواد الكوفة إلى الانبار، ثم من الانبار إلى تكريت تقويس، وهذا المحيط بحدود العراق [٢٠].

الحياة الاقتصادية

من خلال كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي الذي عاش معظم حياته في العراق وعاصر الدولة العباسية في عهدها المتأخر، ذكر اهتمام العباسيين على توطيد أركان الدولة الذي انعكس ذلك على الاهتمام بالحياة الاقتصادية من جميع جوانبها الزراعية والصناعية والتجارية، التي تعد المصدر الرئيسي للموارد المالية للدولة، وهذا واضح من خلال ما ذكره ياقوت الحموي من المدن والمناطق العراقية، أذ أشار إلى أنواع مختلفة من المحاصيل الزراعية التي تشتهر بها في سياق كلامه عنها، وذلك لأن العراق الذي يسمى أرض السواد لتوفر كل مقومات الانتاج الزراعية من توفر مصادر المياه المختلفة والتربة الخصبة والظروف المناخية المناسبة، فضلاً عن الاهتمام بالصناعة التي لا تقل اهمية عن

الزراعة وموادها الأولية المتوفرة محلياً التي تعتمد عليها، بالإضافة إلى قيام الأسواق التجارية المختلفة والمتخصصة بحسب السلع في دورها التجاري الذي نشط تبعاً لذلك مما أدى إلى زيادة التبادل التجاري الداخلي والخارجي، والاهتمام بطرق المواصلات البرية والمائية ، وإقامة المحطات التي تسمى الخانات على طرق القوافل التجارية.

نتيجة لتنشيط الحركة التجارية في العراق باعتباره مركز الدولة العباسية؛ أصبحت بغداد ومدن العراق الأخرى سوقاً تجارياً نشطاً من الطراز الأول يقصدها التجار من كل حدب وصوب، وأصبح كل من دجلة والفرات شريانين تجاريين هامين في النقل المائي في داخل البلاد، فضلاً عن البطائح (الأهوار) وبذلك ازدهرت الحياة الاقتصادية في عهد ياقوت الحموي في جوانبها المختلفة ، الزراعية والصناعية والتجارية فضلاً عن الأنظمة الاقتصادية التي أشار إليها كالخراج والجباية وتوسيع الموارد المالية للدولة العباسية.

ولتوضيح تلك المعلومات المهمة للحياة الاقتصادية في العراق من خلال كتاب معجم البلدان، سأتناول الجوانب الاقتصادية الآتية:

أ- الموارد المائية:

توفرت في العراق الكثير من مصادر الموارد المائية التي ذكرها ياقوت الحموي في سياق كلامه عن المدن العراقية ومناطقه المختلفة، فأشار إلى النهرين الرئيسين دجلة والفرات وإلى الكثير من روافدهما وتفرعاتهما وقنوات الري وشق الترع والانهار فضلاً عن مياه العيون والابار المنتشرة في الكثير من المدن، كما أن بعض الأنهار اندرست وأصبحت خراب لا وجود لها.

ويمكن الإشارة إلى الموارد المائية التي ذكرها ياقوت معززة بما ذكره المؤرخون ومنها: نهر دجلة الذي ينبع من قرب أرمينيا ويصب فيها روافد كثيرة منها: الخابور والزاب الاعظم والاسفل بالإضافة إلى نهر النهروان الذي يسمى نهر تامّرا وهو نهر واسع يحمل السفن وهو عينه نهر ديالي الذي يصب في دجلة أيضاً[٢١]. ويستمر ياقوت في كلامه عن نهر دجلة وتفرعاته، فيذكر النهر بعد دخوله مدينة واسط يتفرع إلى خمسة أنهر عظام تحمل السفن، وفي مدينة البصرة يسمى نهر دجلة العوراء وهو اسم النهر في البصرة [٢٢]. وفي البصرة شق من دجلة نهرين، نهر المعقل ونهر الابلة الذي يقع في زاوية الخليج الذي يعد من جنات الدنيا [٢٣].

أما نهر الفرات: ومخرجه من أرمينيا وتصب فيه أنهار صغيرة، بعد دخوله العراق في مدينة عانه ثم هيت ويتفرع منه انهار تسقي زروع السواد فيعد ياقوت الحموي بعض هذه الانهار ومنها نهر سورا وهو أكبرها ونهر الملك ونهر عيسى، كوثا، سوق أسد، الصرات، الكوفة، والفرات العتيق ونهر حلة بني مزيد ثم تصير دجلة والفرات نهراً واحداً عظيماً (شط العرب) ثم يصب في بحر الهند ((الخليج العربي)) ويروى أن نهر الفرات هو أحد الانهار الاربعة من انهار الجنة[٢٤].

وقد وصف ابن حبير في رحلته إلى العراق في سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) نهري دجلة والفرات بالنهرين الشريفين المباركين [٢٥].

ومن الظواهر الطبيعية المنتشرة في جنوب العراق البطائح (الأهوار) ومفردها البطحاء، وتعني تبطح السيل إذا اتسع في الأرض، وبذلك سميت بطائح واسط لأن المياه تبطحت فيها أي سالت واتسعت في الرض، وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة فيها قرى وسكنها قوم وزرعوها الارز [٢٦] . وبعض هذه القرى مجتمعة مع بعضها في وسط الماء [٢٧]. وتمتاز البطائح بوجود القصب فيها[٢٨] الذي يستخدم في البناء، ومصدر هذه البطائح من الموارد المائية نهري دجلة والفرات اللذان يصبان فيها قبل أن يخرجا ويلتقيان في شمال مدينة البصرة[٢٩].

وتمتد البطائح من الجانب الاخر من بر الكوفة على ظهر النجف إلى البصرة متصلة بأعمال واسط المتصلة بالأهواز والتي تشكل دائرة إلى قرب النعمانية مع نهر النيل ثم تعود إلى فروع نهر الفرات والتي تسمى مجتمعة بطائح الفرات [٣٠] أما مصادر المياة الأخرى كالعيون والابار المنتشرة في المناطق الشمالية ومناطق الواحات في الجهات الغربية فسنشير إليها في سياق الكلام عن الزراعة والمنتجات الزراعية في العراق لاحقاً.

ب- الزراعة:

أشار ياقوت الحموي إلى كثرة القرى والمراكز الزراعية المنتشرة في عموم مناطق العراق، وأهم المحاصيل الزراعية التي اشتهرت بها هذه المناطق هي: التمر والرطب، أشجار النخيل والبساتين، مزارع الحنطة والشعير، الزيتون، النارنج، البقول، الارز، الليمون، الرمان، الكروم، الفواكه ومن أهم المدن العراقية المشهورة بزراعة

النخيل، وفيها أنواع متعددة من الرطب، هي مدينة البصرة، ذكر ياقوت الحموي أن أول من غرس النخل بالبصرة شخص اسمه أبو بكره وقال: هذه أرض نخل ثم غرس الناس بعده [٣١].

وأشار البكري ، (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، إن أهل البصرة أعلم قوم بالنخيل من حين غرسها إلى أن تكمل وتستوي، وأبصرهم بالتمر وتمييزه وخزنه، وهي تجارتهم العظمى وغلتهم الكبرى [٣٢]. وتمور البصرة فلا تنسى، وهي بها كثيرة[٣٣] ومن مدينة البصرة تحمل التمور والحناء [٣٤].

وهناك مناطق تابعة للبصرة تنتج كميات كثيرة من التمر والرطب والفواكه كمنطقة المشان [٣٥] ويعد تمر البصرة المصدر الرئيسي لخزينة الدولة العباسية، فبما أنها في مركز الصدارة بانتاج التمور وبنوعيات جيدة، ذكر ياقوت الحموي نقلاً عن الأصمعي: سمعت هارون الرشيد يقول نظرنا فإذا كل ذهب وفضة على وجه الأرض لا يبلغ ثمن نخل البصرة [٣٦] .

ولتوفر الظروف المناخية المناسبة التي اكرم الله بها الإسلام فأن النخل لا يوجد إلا في بلاد الإسلام البته مع أن بلاد الهند والحبشة والنوبة بلاد حارة خليقة بوجود النخل فيها[٣٧]. ومن الجدير بالذكر أن النخل يحتاج إلى درجة حرارة منخفضة في فصل الشتاء تصل إلى أربعة درجات حرارة مئوية وفي فصل الصيف إلى اكثر من أربعين درجة مئوية، وهي درجات الحرارة المثالية لانتاج التمور.

ومن اسباب انتشار زراعة النخيل في البصرة على امتداد شط العرب وتفرعاته هو توفر الظاهرة الطبيعية فيها (المد والجزر) التي أشار إليها ياقوت الحموي التي تؤدي إلى سقي المناطق المرتفعة والاراضي الناصية، إذ تحدث ظاهرة حركة المد والجزر في النهر العظيم (شط العرب) ، الذي يجري من الشمال إلى الجنوب فينخفض الماء يسمونه جزراً، ثم يرجع من الجنوب إلى الشمال فيرتفع الماء ويسمونه مداً، يفعل ذلك في كل يوم وليلة مرتين [٣٨].

ويستفاد أهل تلك البلاد وخصوصاً في شرق البصرة من حركة الجزر فيسقون الماء الحلو ، فبعد نهر المعقل في البصرة لا تظهر الملوحة ولا يؤثر فيه المد تغيراً[٣٩].

بالإضافة إلى مدينة البصرة فإن زراعة النخيل تنتشر في مناطق كثيرة بجنوب العراق ووسطه وبعض الواحات في غربي العراق وشماله، ومنها مدينة بعقوبا وشهرابان (المقدادية) من أعمال طريق خراسان وفيهما البساتين الواسعة والنخل الكثيف(٤٠).

فضلاً عن قرية تشتبرى الكبيرة ذات نخل وبساتين تختلط بساتينها ببساتين شهرابان من نواحي بغداد (٤١).

وفي منطقة بادريا بالنهروان قرب بغداد حيث التمر اليابس الغاية في الجودة واليبس (٤٢).

وفي منطقة الهضبة الغربية من العراق تنتشر زراعة النخيل على شكل واحات تعتمد على العيون والابار، ففي بلدة عين التمر القريبة من الانبار غربي الكوفة على طريق البرية، وتعرف ببلدة العين، أكثر نخلها يسمى القسب، وهو التمر الذي يتفتت في الفم، فمنها يجلب التمر، وهو بها كثير جداً، ويحمل إلى سائر الأماكن (٤٣) كما تتميز مدينة هيت الواقعة على نهر الفرات فوق مدينة الانبار بالنخل الكثير والخيرات الواسعة(٤٤).

أما المناطق الشمالية من العراق فتكاد تخلو من زراعة النخيل وإنتاج التمور وذلك لعدم توفر الظروف المناخية الملائمة باستثناء المنطقة الشمالية الغربية من العراق ومنها مدينة تل اعفر الواقعة بين سنجار والموصل والتي تتميز بوجود النخل الكثير الذي يجلب رطبه إلى الموصل (٤٥).

فضلاً عن مدينة سنجار التي تعد من نواحي الجزيرة، وهي مدينة طيبة في وسطها نهار جار، وهي عامرة جداً وقدامها واد فيه بساتين ذات أشجار ونخل(٤٦).

وأشار أبي الفداء، (ت٧٣٢هـ/ ١٣٢١م) إلى المدينة ذاتها بأنه ليس بلد فيه نخل غير سنجار ولها بساتين ومياه كثيرة والجبال في شماليها (٤٧).

وفضلاً عن ذلك تنتشر زراعة النخيل في المدن الوسطى والجنوبية من العراق والتي تعد كثيرة القرى والنخل ومن هذه المدن العمارة (٤٨).

أما محاصيل الحبوب كالحنطة والشعير وغيرها فتنتشر في معظم المناطق وخصوصاً الشمالية والوسطى التي تتوفر فيها مياه السقي من تفرعات الانهار وسقوط الامطار، واشار ابن جبير ، (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م) أثناء رحلته إلى العراق إلى عمليات الحصاد الجارية وقال ألفينا حصاد الشعير (٤٩).

وفي مدينة الانبار الواقعة على نهر الفرات غرب العراق والتي سميت بهذا الاسم بمعنى المخازن، لأنه كان يجمع بها أنابير الحنطة والشعير والتبن فلما دخلها العرب عربتها فقالت الانبار [٥٠].

أما زراعة الارز فتنتشر في البطائح (الأهوار) [٥١] جنوب العراق وفي مناطق أخرى منها قرية المحمدية من نواحي بغداد في طريق خراسان [٥٢].

أما المناطق الشمالية من العراق التي تمتاز بثرائها بالانتاج الزراعي وذلك لتوفر المياه الكافية والتربة الخصبة وتنوع المناخ وطبيعته المختلفة عن المناطق الأخرى؛ قدم لنا ياقوت الحموي وصفا عن حالة المدن الزراعية وطبيعة مناطقها وأشار إلى كثرة القرى فيها وإنتاجها الزراعي المتنوع كمدينة باعشيقا من نواحي نينوى شرق دجلة التي لها نهر يسقي بساتينها والغالب عليها إنتاج الزيتون والنارنج وإلى جنبها قرية أخرى كبيرة ذات أسواق وبساتين متصلة [٥٣].

وتشتهر مدينة برطلة شرق دجلة بالخيرات الكثيرة كالبقول والخس الجيد الذي يضرب به المثل [٥٤]. أما إنتاج الكروم والبساتين الواسعة فتوجد في السلامية التي هي من أكبر القرى بنواحي الموصل والمشرفة على شاطئ دجلة الشرقي[٥٥].

ومن مناطق الموصل الأخرى مدينة العمرانية الواقعة إلى الشرق منها فيها رساتيق (قرى) مشهورة بالكروم [٥٦]. وتنتشر زراعة وإنتاج الكروم والبساتين في منطقة الفضلية وهي قرية كبيرة تقع شرقي الموصل قرب باعشيقيا وبها نهر جار وهي تشبه باعشيقيا إلا أن باعشيقا أكثر دخلاً وأشيع ذكراً [٥٧]. ومن نواحي الجزيرة الفراتية الواقعة بين دجلة والفرات إلى الشمال الغربي منه مدينة سنجار وفيها أشجار ترنج ونارنج ووصفها ابن بطوطة، (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) في رحلته المشهورة، بأنها مدينة كبيرة كثيرة الفواكه والاشجار وفيها العيون والانهار وهي تشبه دمشق في كثرة أنهارها وبساتينها [٥٨].

ومن مدن شمال العراق مدينة اربل التي ليس فيها نهر جار وأنما تعتمد على ابار عذبة طيبة وتجلب الفواكه إليها من الجبال المجاورة [٥٩]. ومن منطقة شقلاباذ (شقلاوة) المطلة على أربل التي تزرع وتنتج الكروم الكثير وفيها البساتين الوافرة يقل عنبها إلى

إربل العام بطوله فيكفيهم [٦٠] واشتهرت مدينة شهروزور (السليمانية) بمزارع كثيرة وخصوصاً العنب [٦١].

وقد استغل المزارعون المنطقة الجبلية في إنتاج المحاصيل الزراعية ومن ذلك جبل شعران بنواحي شهرزور وهو من أعمر الجبال انتاجاً وفيه من جميع أنواع الفواكه وكذلك أنواع الطيور وفيه كذلك الثلج الكثير المتوفر على امتداد أيام العام شتاءً وصيفا[٦٢].

أما مدينة حلوان (قرب جلولاء) وهي آخر حدود أرض السواد مما يلي الجبال شمال شرقي بغداد فتمتاز اكثر ثمارها من التين ويسمونه شاه انجير أي ملك التين، وهو في غاية الجودة، وبها رمان ليس في الدنيا مثله [٦٣].

كما يوجد التين في منطقة شاقرد، الواقعة بين دقوقا واربل، ولا يوجد مثله في منطقة غيرها [٦٤].

فضلاً عن ذلك هناك مناطق لانتاج الرمان في العراق ومنها منطقة خسرو سابور قرب مدينة واسط بخمسة فراسخ معروفة بجودة الرمان [٦٥].

كما تنتشر الكثير من البساتين في المناطق التي تتوفر فيها مصادر المياه والتي تقع على تفرعات الانهار ومنها بليدة أوانا من نواحي دجيل بغداد من جهة تكريت المعروفة ببساتينها [٦٦].

وهناك الكثير من البساتين التي يقصدها أهل البطالة كما هو الحال في قرية باري من نواحي بغداد وبها بساتين [٦٧].

وتشتهر مدينة بعقوبا (ديالى) بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من أعمال طريق خراسان وهي كثيرة الانهار والبساتين واسعة الفواكه متكاثفة النخل وبها رطب وليمون يضرب بحسنها وجودتها المثل [٦٨].

فضلا عن منطقة شهرابان (المقدادية) ذات النخل والبساتين الواقعة في شرقي بغداد بطريق خراسان [٦٩].

ومن الجدير بالذكر إن أصحاب البساتين في ذلك الوقت عملوا على تحصين بساتينهم ومنع الاخرين من دخولها باستخدام الكوسج: وهو شجر الشوك الشائك الذي يوضع على حيطان البساتين لمنع من يريد التسرق [٧٠].

ت-الصناعة

توفرت في بعض المناطق العراقية أنواع من المعادن التي استخدمت في الصناعة، كما قامت صناعات أخرى تعتمد بدورها على المنتجات الزراعية وخصوصاً الصناعات النسيجية التي كانت ضرورية للسكان لتلبية احتياجاتهم فضلاً عن الصناعات والحرف الاخرى التي تتعلق بالمسكن والمأكل والملبس، وكانت مدينة بغداد أهم المراكز الصناعية في العراق ولها نصيباً وافراً من تلك الصناعات وخصوصاً المنسوجات الحريرية والأقمشة القطنية، إذ كان فيها عدد كبير من دور الصناعة التي أشار إليها ياقوت الحموي في سياق كلامه عن المناطق والمدن المختلفة وخصوصاً بغداد وما يجاورها ومنها منطقة بامداري التي يعمل بها ثياب من القطن غلاظ صفاق يضرب أهل بغداد بها المثل [٧١]. كما واشتهرت بعض البلدان الواقعة في الأطراف الشمالية من بغداد بالأنسجة وصناعة الثياب القطنية الغليظة كما هو الحال في بليدة حربى الواقعة في أقصى دجيل بين بغداد وتكريت وتحمل منتوجاتها إلى سائر البلاد[٧٢].

وكذلك في منطقة الحظيرة وهي من أعمال بغداد من جهة تكريت التي ينسج فيها ثياب الكرباس الصفيف التي يحملها التجار إلى مختلف مناطق البلاد[٧٣] كما وأشتهرت محلة العتابية من مناطق بغداد الأخرى بصناعة الثياب العتابية، وهي ثياب تصنع من الحرير والقطن ومخططة بالاحمر والاصفر والوان مختلفة[٧٤] وتنسب الثياب التسترية إلى محلة التستريون في الجانب الغربي بين دجلة الغربي بين دجلة وباب البصرة ، التي يسكنها أهل تستر، ويعملون بصناعتها[٧٥].

وفي مدينة الكوفة المشهورة بالوشي وصنع العمائم هناك قوم في عدة قرى على نهر نرس مشهورون بصناعة الثياب النرسية [٧٦].

بالإضافة إلى الصناعات النسيجية كانت هناك في بغداد محلات مختصة بصناعة الكاغد منها محلة تسمى دار القزفي طرف الصحراء يعمل فيها الكاغد[٧٧]، ومنطقة جهارسوج من محال بغداد يعمل فيها الكاغد أيضاً [٧٨].

أما صناعة الزجاج فأشار ياقوت الحموي وعدد من المؤرخين إلى قرية القادسية الكبيرة قرب سامراء، يعمل فيها الزجاج [٧٩].

ومن المعادن المهمة في العراق التي أشار إليها ياقوت الحموي والكثير من المؤرخين بالرغم من محدودية الاستخدام النفط الموجود بكميات كبيرة وخصوصاً في بلدة خانقين في طريق همدان من بغداد، حيث يتوفر في عين نفطية عظيمة، ويدر ذحلاً كثيراً وتقع قرب جادة خراسان إلى بغداد [٨٠]، يتوفر كذلك في مدينة هيت على شمالي نهر الفرات وهي من أعمال بغداد وحد من حدود العراق [٨١].

وفضلاً عن النفط يتوفر في العراق القار بكميات مختلفة في العديد من المناطق ومنها منطقة القيارة الواقعة في الجانب الشرقي من نهر دجلة وعن يمين الطريق إلى مدينة الموصل، توجد عين القار ينبع منها القار وهي حمه يقصدها أهل الموصل، يستحمون فيها ويستشفون بمائها [٨٢]. وبالقرب منها يجد حمام علي(حمام العليل) غربي دجلة وهي عين ماؤها حار كبريتية [٨٣].

ومن مناطق الموصل الأخرى على نهر دجلة قرية جهينة الكبيرة وفيها عين القار[٨٤].

كما توجد عيون كثيرة للقار في مدينة هيت التي تبعد عن الانبار أحد وعشرين فرسخاً [٨٥].

وذكر ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) أثناء مروره بمنطقة القيارة على طريق الموصل بأنها أرض سوداء فيها عيون تنبع بالقار ويصنع له أحواض ويجتمع فيها [٨٦].

كما يتوفر القار ويجلب من مناطق تكثر فيها بين البصرة والكوفة [٨٧].

وللقار استخدامات كثيرة ومنها استخدامه في طلاء الحمامات وخاصة في بغداد العاصمة العباسية، إذ يبلغ فيها عدد الحمامات نحو الالفي حمام [٨٨] . والقار والقير لغتان في هذا الاسود الذي تطلى به السفن [٨٩].

ث-التجارة والمواصلات:

بما إن العراق كان قاعدة الدولة العباسية ووسط الدنيا ويمتلك كل مقومات التجارة بموارده الزراعية والصناعية الفائضة عن الحاجة في حين هناك مناطق أخرى تحتاج إلى منتوجات وسلع تنقصها، وقد أدى هذا إلى نشاط التجارة وازدهارها داخلياً وخارجياً، وكانت بغداد العاصمة وسط العراق، وهي المدينة التي ليس لها نظير في مشارق الارض ومغاربها سعة، وكبراً، وعمارة وكثرة مياه، وصحة ، وهواء. سكنها أصناف الناس،

وأهل الأمصار، فاجتمع بها ما ليس في مدينة أخرى في الدنيا [٩٠]. ولها تجارة واسعة، وأصبح النشاط التجاري المتميز بين الشرق والغرب بفعل الموقع الجغرافي المهم الذي أدى إلى ازدهار التجارة وقصدها التجار من جميع أقطار العالم للبيع والشراء [٩١]. وازدهار التجارة مرتبط بالنشاط الزراعي الواسع في العراق، فالفائض من الانتاج الزراعي كان كفيلاً بظهور الاسواق المزدهرة فيه، فالأسواق كلها تشتمل على حاجات الناس فمنها الضروري كالأقوات من الحنطة ومعناها ومنها الحاجات والكماليات والفواكه والملابس، وسائر المصانع والمباني [٩٢].

فالعوامل الاقتصادية والاجتماعية هي التي حددت وجود السوق في المدينة، ويمكن عد السوق دليلاً على حجم المدينة وأهميتها، لذلك يعد السوق أحد الملامح الرئيسية في المدينة التي عكست الحياة الاقتصادية وعدت مركزها التجاري حيث أقترن ازدهار التبادل التجاري في أي مدينة بوجود الأسواق فيها [٩٣]. تنوعت الأسواق ، وتميزت بنشاطها ففي بغداد التي كانت سوقاً يقصدها أهل الصين بتجارتهم فيربحون الربح الواسع [٩٤].

انتشرت الأسواق في جانبي بغداد، فالجهة الشرقية (الرصافة) حفيلة الأسواق، عظيمة الترتيب [٩٥]، وأعظم اسواقها سوق يعرف بسوق الثلاثاء كل صناعة فيه على حدة[٩٦] وسمي بذلك لأنه كان يقوم عليه سوق لأهل بغداد في كل شهر مرة واحدة يوم الثلاثاء فنسب إلى اليوم الذي كانت تقوم فيه السوق [٩٧].

ويعد سوق الثلاثاء من أعمر أسواق بغداد المعروفة في ذلك الوقت وهو سوق متخصص به معظم البزازين وهناك أسواق واسعة للبزازين أيضاً في منطقة قنطرة الشوك على نهر عيسى في بغداد [٩٨].

ويستمر ياقوت الحموي في نقل مشاهدته عن أسواق بغداد الأخرى وحركة التجارة فيها فيذكر قائلاً: ((في شرقي بغداد محل الأزج ذات الأسواق الكثيرة والمحال التي تكاد كل واحدة منها تشبه أن تكون مدينة))[٩٩]. وأشار إلى الأسواق المتخصصة في بيع سلعة أو مهنة معينة ففي دار الرياحين سوق للعطارين فيه ثلاث وأربعون دكاناً[١٠٠]. فضلاً عن منظرة الرياضين في السوق الذي يباع فيه الريحان والفواكه التي تشرف على سوق الصرف [١٠١].

وتتركز الاسواق في الجانب الغربي من بغداد (الكرخ) وكان الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور أمر أن تكون الأسواق في طاقات المدينة بإزاء كل باب سوق، ثم أمر بإخراج الأسواق من المدينة، وأن يجعلها صنوفاً ويرتب كل صنف موضعه [١٠٢].

نمت الأسواق وكثرت وازداد سكانها في الجانب الغربي وصارت من أكبر المحلات وأغناها ببغداد [١٠٣]، وظل الكرخ مركز الحياة الاقتصادية ومن أكثر المناطق ازدحاماً بالسكان وخصوصاً في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي وسميت الكثير من الأسواق في بغداد بأسماء من انشأها أو عمرها أو باسم السلع التي تباع فيها مثال ذلك: سوق السلاح، سوق عبد الواحد، سوق العطش، سوق يحيى [١٠٤]. وكان للتجار وأرباب الأعمال مساكن خاصة بهم في درب الزعفران ببغداد [١٠٥].

ولما كانت بغداد هي أكبر مركز تجاري في العراق فإن تجارتها كانت أوسع تجارة في الدولة العربية الإسلامية، وتعد من أهم المراكز التجارية فيها والتي توسع ياقوت الحموي في أعطاء صورة واضحة عنها، فلم يقتصر عليها وإنما هناك مدن ومناطق كثيرة نالت إعجابه وأعطى صورة واضحة عن الواقع الاقتصادي عنها.

ومن هذه المدن مدينة الموصل وموقعها الجغرافي المتميز، الذي لعب دوراً مهماً في تطورها وازدهارها، فوقوعها على المسالك التجارية، التي منها يقصد إلى جميع البلدان، فهي باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان وهي أحد بلاد الدنيا العظام الثلاثة [١٠٦].

وتحدث عن مدينة الموصل الرحالة ابن جبير خلال زيارته لها في العام (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) وصفها بالمدينة العتيقة الضخمة، فيها الأسواق، ولها شارعاً متسعاً يمتد من أعلى البلد إلى أسفله، أي من شماله إلى جنوبه على خط مستقيم[١٠٧].

وقدم لنا ابن بطوطة صورة أخرى عن مدينة الموصل فذكر ((للموصل ربض كبير فيها المساجد والحمامات والفنادق والاسواق))[١٠٨].

وكانت تمر بها كثيراً من بضائع الجزيرة والموصل والمدن الواقعة في شماله، أذ ان المراكب المشحونة بالتجارة تصل إلى الموصل مستخدمة نهر دجلة الذي يخترق المدينة قادمة من جزيرة ابن عمر وهي محملة بالمواد كالعسل والسمن والجبن واللوز والبندق والزبيب وغيرها [١٠٩].

ولم تكن الأسواق مقتصرة على المدن الرئيسية، بل شملت المدن الأخرى وبعض القرى الكبيرة التي تميزت بانتاجها الزراعي والصناعي ومنها مدينة اربل التي تميزت بأسواقها العامرة [١١٠]. ومدينة بعشيقا التي وصف سوقها ياقوت الحموي بالسوق الكبير وقيسارية يباع فيها البز (نسيج ينسج من القطن) وإلى جانب بعشيقا قرية كبيرة ذات أسواق [١١١].

ووصفت برطلى (كثيرة الخيرات والأسواق والبيع والشراء) ، واشار ياقوت الحموي إلى أن دخلها السنوي يبلغ عشرون ألف دينار [١١٢].

ومن المدن المهمة مدينة الحلة الواقعة بين الكوفة وبغداد التي اشتهرت بالتجارة وقصدها التجار فصارت من أفخر بلاد العراق وأحسنها [١١٣] . وتميزت بأسواقها الحفيلة الجامعة لمرافق المدينة والصناعات الضرورية فيها [١١٤].

ومن مدن العراق المهمة والعامرة مدينة واسط والتي تقع في وسط الطرق المؤدية إلى البصرة والكوفة ولكل واحدة منهما خمسون فرسخاً [١١٥]. وبينهما وبين الاهواز المقدار نفسه [١١٦]. وهذا مما زاد من اهمية موقعها الجغرافي المتميز حتى وصفها ياقوت الحموي بعد أن رآها ومر بها عدة مرات قائلاً: وجدتها بلدة عظيمة ذات رساتيق (قرى) كثيرة وبساتين ونخلاً يفوت الحصر، وكان الرخص موجوداً فيها من جميع الأشياء يستمر في نقل مشاهداته عن أسواقها وحركة التجارة فيها فيقول: رأيت فيها كوز زبد بدرهمين وأثنتي عشرة دجاجة بدرهم والسمن أثنا عشر رطلاً بدرهم والخبز اربعون رطلاً بدرهم واللبن مائة وخمسون رطلاً بدرهم والسمك مائة رطل بدرهم وجميع ما فيها بهذه النسبة[١١٧].

وفضلاً عن ذلك أضاف المقدسي ، ت (٣٧٥هـ/ ٩٨٥م)، إلى مدينة واسط صفات أخرى منها: كثيرة الخير، حسنة الأسواق، واسعة السواد [١١٨].

أما مدينة الكوفة والتي تعد أكبر مراكز طرق الحج بين العراق والحجاز وفيها مراكز الحركة العلمية والدراسات الفقهية، أزدهرت فيها الحياة الاقتصادية ووصفها المقدسي بالمدينة الجليلة ، حسنة البناء، جليلة الأسواق، كثيرة الخيرات[١١٩]. وأشار ابن بطوطة إلى أسواقها الحسان، وأكثر ما يباع فيها التمر والسمك [١٢٠].

ج-طرق المواصلات:

اعتمدت التجارة في العراق على طرق المواصلات النهرية والبرية وجميع هذه الطرق مركزها بغداد فأما الطرق النهرية فهي التي تسلك دجلة والفرات.

ومن المعلوم أن بغداد تقع على نهر دجلة وتمر بها بضائع جزيرة ابن عمر والموصل والمدن الواقعة إلى الشمال منها مروراً ببغداد ثم تمر بها كذلك بضائع المدن الواقعة جنوبها كالبصرة وواسط وغيرهما ففي دجلة تحمل طرائف الهند والسند والصين والبصرة وواسط [١٢١]. أما نهر الفرات فأنه صالحاً للملاحة فيما بين عانه وبغداد وبقي محتفظاً بذلك حتى العهد المغولي الأيلخاني في العراق[١٢٢].

أما النقل البحري فيشمل النقل الخارجي الذي يعد بوابة العراق على العالم من خلال نهر الأبلة الذي يقع على شاطئ البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل مدينة البصرة [١٢٣] وهذا الموقع الجغرافي للبصرة ساهم على ازدهارها الاقتصادي فكانت من أعظم مراكز التجارة في العالم العربي الإسلامي. وتنقل عبرها معظم التجارة البحرية القادمة من الصين والهند وأفريقيا والمارة بالمحيط الهندي ثم الخليج العربي.

أما طرق النقل البرية والتي شكلت للعراق بعداً حيوياً في نشاطه التجاري ، باعتباره مركز التقاء الطرق التجارية الرئيسة، فيمكن تتبع الطرق المهمة من خلال معجم البلدان لياقوت الحموي في سياق حديثه عن المدن والمناطق الكثيرة الواردة في كلامه عنها ومنها: الطرق البرية التي تربط بغداد بالمدن المقدسة في الحجاز ، وهو طريق بغداد- غربي الكوفة- عين التمر- كبيسة الواقعة على طرق برية السماوة [١٢٤]. ثم يخرق صحراء شبه الجزيرة العربية وهذا الطريق يسلكه الحجاج ويستخدم لأغراض تجارية وعسكرية لأهميته حفرت عليه الابار لتوفير المياه للقوافل.

وهناك طرق تربط بغداد بالموصل مروراً بتكريت ومن هذا الطريق يقصد إلى جميع البلدان ومنها إلى نصيبين وسنجار ثم بقية مدن بلاد الشام [١٢٥]. وهو الطريق الذي سلكه ابن جبير سنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م) عند عودته من الحج. ويبدو أن هذا الطريق لم يتغير كثيراً عما كان عليه حاله في القرن الرابع الهجري، فقد أشار ناصر خسرو (المتوفي في القرن الخامس الهجري) إلى هذا الطريق الذي يربط شمال الشام مع العراق وبلاد الجزيرة الذي يسير من بغداد محاذياً لنهر دجلة من ضفة اليسرى ويدخل الجزيرة

في تكريت ويظل محاذياً لنهر دجلة حتى مدينة الموصل ومنها إلى نصيبين ثم بقية المدن في بلاد الشام والروم[١٢٦].

وهناك طرق برية بموازاة نهري دجلة والفرات تبدأ من بغداد مروراً بمدينة واسط وميسان والبصرة [١٢٧].

إلا أن الطريق الرئيسي المهم هو الذي يربط بغداد بالمشرق وتكمن اهميته في كونه استخدم في العصور الاسلامية لأنه يربط بالهضبة الايرانية وخراسان وبلاد التركستان وتقع عليه مدن كانت لها أهمية كبيرة في الدولة العربية الإسلامية وتسلكه القوافل التجارية ويتصل مع الطريق الرئيسي المسمى الطريق السلطاني (طريق الحرير) ويبدأ من بغداد ويمر بمدن المحمدية، بعقوبا، شهرابان، خانقين، قصر شيرين[١٢٨].

ولابد من الإشارة إلى وجود الخانات التي هي بمثابة الفنادق والتي ارتبط وجودها في المدن العراقية أو على طرق القوافل التجارية مع تطور الحياة الاقتصادية والتي تعد أمراً ضرورياً لوجودها إلى جانب الاسواق والحمامات. وبالرغم من ان ياقوت الحموي لم يذكر معلومات كافية ومفصلة عنها، سوى إشارات عابرة في سياق كلامه عن المدن والمناطق العراقية، فذكر الخانات بأنها المنازل التي يسكنها التجار[١٢٩].

الخاتمة

بعد الاطلاع على موضوع البحث المتعلق بالحياة الاقتصادية في العراق من خلال كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي والمصادر ذات الصلة بموضوع البحث، يمكن أن نلخص أهم الاستنتاجات التي تم التوصل إليها من خلال البحث وهي:

١- إبراز دور العراق الاقتصادي بشكل واضح باعتباره أهم المراكز الاقتصادية في الدولة العباسية، وأهمية موقعه المتميز الرابط بين الشرق والغرب، وأثر ذلك في الحياة العامة.

٢- وفر العراق لنفسه مصدراً ((غذائياً جيداً))، من خلال التوسع في زراعة الأرض الزراعية وتحقيق انتاجاً زراعياً وافراً، وهذا دليل على تسميته بأرض السواد.

٣- شكلت الثروة الزراعية مصدراً مهماً للموارد المالية للدولة التي اعتمدت على الانتاج الزراعي بالدرجة الأولى لرفد ميزانية الدولة المالية.

٤- توفرت الظروف المناسبة من التربة الخصبة ومصادر المياه المختلفة فضلاً عن الأيدي العاملة التي ساهمت في إقامة مشاريع الري المقامة على نهري دجلة والفرات وبالتالي حافظ العراق على هويته الزراعية وخصوصيته في الانتاج.

٥- أصبح العراق ومدنه المختلفة نقطة للتبادل التجاري المزدهر واتسعت تجارته الداخلية والخارجية مما أدى إلى منحه شهرة واسعة ومكانة كبيرة بين بلدان العالم.

٦- ارتبط ازدهار المدينة العراقية وتطورها- من الناحية الاقتصادية- بأسواقها وأنعكس ذلك على تطور طرق المواصلات البرية والنهرية.

٧- اتسم النشاط الاقتصادي العراقي المنتظم الذي اعتمدت عليه الدولة بالحيوية، وزاد من الأواصر الاجتماعية والتآزر بين مختلف مكونات الشرائح الاجتماعية.

٨- استمرت المنشآت والمرافق العامة كالأسواق والخانات في استقطاب التجار من مختلف بقاع العالم وأداء مهماتها لفترة طويلة من الزمن، حتى بعد وفاة ياقوت الحموري.

٩- اتضح أن المدن العراقية المشهورة بالانتاج مازالت ذاتها تؤدي وظيفتها الزراعية منذ لك الوقت وحتى الآن.

الهوامش:

(١) ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد، (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط١ الناشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٩، جـ٥/ ١٧٨.

(٢) كحالة/ عمر رضا.
معجم المؤلفين، مطبعة البرقي، دمشق، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١، جـ١٣/ ١٧٩.

(٣) ابن خلكان، المصدر السابق، ٥/ ١٧٨؛ كحالة، المرجع السابق، ١٣/ ١٧٩.

(٤) ابن خلكان، المصدر السابق، ٥/ ١٧٨.

(٥) ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف، ت(٨٧٤هـ/ ١٤٩٦م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، جـ٨/ ١٨٧؛ ابن خلكان، المصدر السابق ٥/ ١٧٩.

(٦) ابن خلكان، المصدر السابق، ٥/ ١٨٩.

(٧) الحموي، شهاب الدين، أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) معجم البلدان، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشي، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ط/١، ٢٠٠٨م، جـ٦/ ٣٠٦.

(٨) البكري، ابي عبد الله بن عبد العزيز، (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط/١، ٢٠٠٢، جـ٣/ ٣.
(٩) البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، (ت٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م) تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، ط/١، جـ٢/ ٩٢٦.
(١٠) الحموي، المصدر السابق، ٥/ ٨٥؛ البغدادي، المصدر السابق، ٢/ ٧٥٠.
(١١) الحموي، المصدر السابق، ١/ ٣٤.
(١٢) الحموي، المصدر نفسه، ٣/ ٣٠٦.
(١٣) الحموي، المصدر نفسه، ٦/ ٣٠٦.
(١٤) أبي الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمرن ت(٧٣٢هـ/ ١٣٢١م) تقويم البلدان، طبع في باريس، ١٨٤٠م، يطلب من دار الطباعة السلطانية، ص٣٠٧.
(١٥) البغدادي، المصدر السابق، ٢/ ٩٢٦.
(١٦) الحموي، المصدر السابق ٥/ ٨٦؛ البغدادي، المصدر السابق، ٢/ ٧٥١.
(١٧) الحموي، المصدر السابق، ٦/ ٣٠٦.
(١٨) أبو الفداء المصدر السابق، ص٣٩١.
(١٩) البكري، المصدر السابق، ٢/ ٣.
(٢٠) ابن حوقل، أبي القاسم بن حوقل النصيبي، (بعد ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) صورة الأرض، الناشر، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ٢٠٠٩، ط/١ ص٢٢١.
(٢١) ابن خرداذبة، أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله، (ت٣٠٠هـ/ ٩١٣م) المسالك والممالك، طبع في مدينة ليدن، مطبعة بريل، ١٨٨٩م، يطلب من دار صادر، بيروت، ص١٧٥؛ الحموي، المصدر السابق ٢/ ٤٢٦.
(٢٢) البلاذري، أبي الحسن احمد بن يحيى، ت (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، تعليق رضوان محمد ، ١٩٧٨، ص٢٩٠؛ الحموي، المصدر السابق، ٤/ ٢٩٠؛ البغدادي، المصدر السابق، ٢/ ٥١٥.
(٢٣) المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد، ت(٣٧٥هـ/ ٩٨٥م) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، اعتناء الاساتذة ، دوزي ويدغوية، طبع في ليدن، مطبعة بريل، ١٩٠٩، ص١١٧؛ الحموي، المصدر السابق، ١/ ٧٢.
(٢٤) الحموي، المصدر السابق، ٥/ ٤١٩.
(٢٥) ابن جبير، أبي الحسن محمد بن احمد ت (٦١٤هـ/ ١٢١٧م) رحلة ابن جبير، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ١٩٨١، ص١٧٢.
(٢٦) الحموي، المصدر السابق، ٢/ ٣٥٥- ٣٥٦.
(٢٧) أبي الفداء، المصدر السابق، ص٢٩٦.
(٢٨) البغدادي، المصدر السابق، ١/ ٢٠٦.
(٢٩) ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص١٧٤.
(٣٠) البغدادي، المصدر السابق، ٣/ ١٠٢١.
(٣١) الحموي، المصدر السابق، ٢/ ٢٤٢.
(٣٢) البكري، المصدر السابق، ٢/ ١٢.
(٣٣) المقدسي، المصدر السابق، ١١٣- ١١٧.
(٣٤) المقدسي، المصدر نفسه، ١٢٨.
(٣٥) الحموي، المصدر السابق، ٧/ ٢٦٨؛ البغدادي، المصدر السابق، ٣/ ١٢٧٤.

(٣٦) الحموي، المصدر نفسه، ٢/ ٣٤٦.
(٣٧) الحموي، المصدر نفسه، ٢/ ٣٤٦- ٣٤٧.
(٣٨) الحموي، المصدر نفسه، ٢/ ٣٤٧.
(٣٩) أبو الفداء، المصدر السابق، ص٢٩٦.
(٤٠) الحموي، المصدر السابق، ٢/ ٣٥٧، ٥/ ١٦٥.
(٤١) الحموي، المصدر السابق، ٨/ ٣٨٨.
(٤٢) الحموي، المصدر السابق، ٢/ ٢٥٣.
(٤٣) الحموي، المصدر السابق، ٥/ ٣٦٦؛ البغدادي، المصدر السابق، ٢/ ٩٧٧.
(٤٤) الحموي، المصدر نفسه، ٨/ ٤٩٠؛ البغدادي، المصدر نفسه، ٣/ ١٤٦٨.
(٤٥) الحموي، المصدر نفسه، ٢/ ٤٥٠؛ أبي الفداء، المصدر السابق، ص٢٨٥.
(٤٦) الحموي، المصدر نفسه، ٥/ ٧٨؛ أبي الفداء، المصدر نفسه، ص٢٨٣.
(٤٧) الحموي، المصدر نفسه، ٧/ ٣٥٤؛ البغدادي، المصدر السابق، ٣/ ١٣٤٣.
(٤٨) البغدادي، المصدر السابق، ١/ ١٢٠.
(٤٩) ابن جبير، المصدر السابق، ص١٧١.
(٥٠) الحموي، المصدر السابق، ص٢٠٦.
(٥١) الحموي، المصدر السابق، ٢/ ٣٥٦؛ البغدادي، المصدر السابق، ١/ ٢٠٦.
(٥٢) الحموي، المصدر السابق، ٧/ ٢١٤.
(٥٣) الحموي، المصدر السابق، ٢/ ٢٥٩.
(٥٤) الحموي، المصدر نفسه، ٢/ ٣٠٥.
(٥٥) الحموي، المصدر نفسه، ٥/ ٥٦.
(٥٦) الحموي، المصدر نفسه، ٥/ ٣٥١؛ البغدادي، المصدر السابق، ٢/ ٩٦٠.
(٥٧) الحموي، المصدر نفسه، ٦/ ٤٣٩.
(٥٨) ابن بطوطة: شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن ابراهيم، ت (٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار، المسماة رحلة ابن بطوطة ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م، ص٢٣٧.
(٥٩) الحموي، المصدر السابق، ١/ ١١٦.
(٦٠) الحموي، المصدر نفسه، ٥/ ١٥٠.
(٦١) الحموي، المصدر نفسه، ٥/ ١٦٥.
(٦٢) الحموي، المصدر نفسه، ٥/ ١٤٥.
(٦٣) الحموي، المصدر نفسه، ٣/ ١٧٣؛ البغداد، المصدر السابق، ١/ ٤١٨.
(٦٤) البغدادي، المصدر السابق، ٢/ ٧٧٤.
(٦٥) الحموي، المصدر السابق، ٣/ ٢٣٤.
(٦٦) الحموي، المصدر نفسه، ١/ ٢٢٠.
(٦٧) الحموي، المصدر نفسه، ٥/ ٢٥٦.
(٦٨) الحموي، المصدر نفسه، ٢/ ٣٥٧.
(٦٩) الحموي ، المصدر نفسه، ٥/ ١٦٥؛ البغدادي، المصدر السابق، ٢/ ٨٢٢.
(٧٠) الحموي، المصدر نفسه، ٥/ ٣٦٢.
(٧١) الحموي، المصدر نفسه، ٢/ ٢٦٠.

(٧٢) الحموي، المصدر نفسه، ٣/ ١٣٢.
(٧٣) الحموي، المصدر نفسه، ٣/ ١٦٠.
(٧٤) ابن جبير، المصدر السابق، ص١٨٠.
(٧٥) البغدادي، المصدر السابق، ١/ ٢٦٢.
(٧٦) الحموي، المصدر السابق، ٨/ ٣٨٣.
(٧٧) الحموي، المصدر نفسه، ٤/ ٢٧٥.
(٧٨) الحموي، المصدر نفسه، ٣/٢٩٩.
(٧٩) الحموي، المصدر نفسه، ٧/ ٨؛ البغدادي المصدر السابق، ٣/ ١٠٥٥ ؛ أبي الفداء، المصدر السابق، ص٢٩.
(٨٠) الحموي، المصدر نفسه، ٣/٢١١؛ البغدادي، المصدر السابق، ١/ ٤٤٧.
(٨١) أبي الفداء، المصدر السابق، ص٢٩٩.
(٨٢) الحموي، المصدر السابق، ٧/ ١٠٦.
(٨٣) الحموي، المصدر نفسه، ٣/ ١٧٩.
(٨٤) البغدادي، المصدر السابق، ١/ ٣٦٣.
(٨٥) أبي الفداء، المصدر السابق، ص٢٩٩.
(٨٦) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص٢٣٤.
(٨٧) ابن جبير، المصدر السابق، ص١٨٣.
(٨٨) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص٢٢٤.
(٨٩) الحموي، المصدر السابق، ٧/ ٨.
(٩٠) اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب، اسحاق بن جعفر، ت (٢٨٤هـ/٨٩٧م) البلدان وضع حواشيه ، محمد امين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/١ ٢٠٠٢، ص١١.
(٩١) التطيلي، بنيامين الاندلسي، ت (٥٦٩هـ/ ١٤٩٦م) رحلة بنيامين ترجمة عزراحداد، بغداد، ١٩٤٥، ط/١، طبع المطبعة الشرقية ص١٣٩.
(٩٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ت (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) مقدمة ابن خلدون ، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دون تاريخ ص٣٦٢- ٣٦٣.
(٩٣) الشيخلي، صباح ابراهيم سعيد، الاصناف في العصر العباسي، نشأتها وتطورها، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٦، ص٣٨.
(٩٤) الحموي، المصدر السابق، ٢/ ٣٦١.
(٩٥) ابن جبير، المصدر السابق، ص١٨٢.
(٩٦) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص٢٢٥.
(٩٧) الحموي، المصدر السابق، ٥/ ٩٤.
(٩٨) ابو الفداء، المصدر السابق، ص٢٩٥؛ البغدادي، المصدر السابق، ١/ ٢٩٨.
(٩٩) الحموي، المصدر السابق، ١/ ١٣٩.
(١٠٠) الحموي، المصدر نفسه، ٤/ ٢٧٤.
(١٠١) الحموي، المصدر نفسه، ٧/ ٢٣١.
(١٠٢) المقدسي، المصدر السابق، ص١٢٠.
(١٠٣) البغدادي، المصدر السابق، ٣/ ١١٥٦.
(١٠٤) الحموي، المصدر السابق، ٥/ ٩٤- ٩٥، البغدادي، ٢/ ٧٥٦.

(١٠٥) الحموي، المصدر نفسه، ٤/ ٢٩٥؛ البغدادي، ٢/ ٥٢١.
(١٠٦) الحموي، المصدر السابق، ٨/ ٣٣٩.
(١٠٧) ابن جبير، المصدر السابق، ١٨٨.
(١٠٨) ابن بطوطة، المصدر السابق ٢٣٥.
(١٠٩) ابن حوقل، المصدر السابق ٢٠٢.
(١١٠) الحموي، المصدر السابق، ١/ ١١٦؛ البغدادي، المصدر السابق، ١/ ٥١.
(١١١) الحموي، المصدر نفسه، ٢/ ٢٥٩.
(١١٢) الحموي ، المصدر نفسه، ٢/ ٣٠٥.
(١١٣) الحموي، المصدر نفسه، ٣/ ١٧٦؛ البغدادي، المصدر السابق، ١/ ٤١٩.
(١١٤) ابن جبير، المصدر السابق، ١٦٩.
(١١٥) الحموي، المصدر السابق، ٨/ ٤٣٥؛ البغدادي، المصدر السابقن ٣/ ١٤١٩.
(١١٦) البلاذري، المصدر السابق، ٢٨٨.
(١١٧) الحموي، المصدر السابق، ٨/ ٤٣٧.
(١١٨) المقدسي، المصدر السابق، ١١٨.
(١١٩) المقدسي، المصدر السابق، ١١٦
(١٢٠) ابن بطوطة، المصدر السابق، ٢١٩.
(١٢١) الحموي، المصدر السابق، ٢/ ٣٦١.
(١٢٢) الرويشدي، سوادي عبد محمد، التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية، أطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة، دار العلوم، ١٩٧٥، ص٢٧٣.
(١٢٣) الحموي، المصدر السابق، ١/ ٧٢.
(١٢٤) الحموي، المصدر نفسه، ٧/ ١١٨.
(١٢٥) الحموي، المصدر السابق، ٨/ ٣٣٩.
(١٢٦) نالصر خسرو، (المتوفي في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) سفر نامة، ترجمة د. يحيى الخشاب، ط/١، القاهرة، ١٩٤٥، ص١٠.
(١٢٧) الحموي، المصدر السابق، ٧/ ٣٥٤.
(١٢٨) الحموي، المصدر نفسه، ٧/ ٢١٤، ٢/ ٣٥٧، ٨/ ٣٨٨، ٣/ ٢١١.
(١٢٩) الحموي، المصدر نفسه، ٣/ ٢١١.

قائمة المصادر والمراجع

١- ابن بطوطة، شمس الدين، ابو عبد الله محمد بن إبراهيم، ت(٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار، المسماة رحلة ابن بطوطة، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٩، ١٩٦٠.
٢- البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، ت(٧٣٩هـ/١٣٣٨م) تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٩٢، ط/١.
٣- البكري، أبي عبد الله بن عبد العزيز، ت(٤٨٧هـ/١٠٩٤م) المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢، ط/١.

٤- البلاذري، أبي الحسن احمد بن يحيى، ت(٢٧٩هـ/٨٩٢م) فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، تعليق رضوان محمد، بيروت، لبنان، ١٩٧٨.
٥- التطيلي، بنيامين الاندلسي، ت(٥٦٩هـ/١٤٩٦م) رحلة بنيامين، ترجمة عزرا حداد، بغداد، طبع المطبعة الشرقية بغداد، ١٩٤٥.
٦- ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف، ت(٨٧٤هـ/١٤٩٦م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
٧- ابن جبر، أبي الحسن محمد بن احمد، ت (٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، رحلة ابن جبر، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ١٩٨١.
٨- الحموي، شهاب الدين، أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، ت(٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) معجم البلدان، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشي، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨، ط/١.
٩- ابن حوقل، ابي القاسم بن حوقل النصيبي، ت(بعد ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) صورة الأرض، الناشر شركة نوابغ الفكر، القاهرة ، ٢٠٠٩، ط/١.
١٠- ابن خرداذبة، أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت(٣٠٠هـ/٩١٣م) المسالك والممالك، طبع في مدينة ليدن، مطبعة بريل، ١٨٨٩، يطلب من دار صادر، بيروت.
١١- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ت(٨٠٨هـ/١٤٠٥م) مقدمة ابن خلدون، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان (بدون تاريخ).
١٢- ابن خلكان أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد، ت(٦٨١هـ/١٢٨٢م) وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان، تحقيق محمد محي الدين، الناشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٩.
١٣- الرويشدي، سوادي عبد محمد، التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية، اطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة، دار العلوم، ١٩٧٥.
١٤- الشيخلي، صباح ابراهيم سعيد، الاصناف في العصر العباسي، نشأتها وتطورها، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٦.
١٥- ابي الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر، ت(٧٣٢هـ/١٣٢١م) تقويم البلدان، طبع في باريس، ١٨٤٠م، يطلب من دار الطباعة السلطانية.
١٦- كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مطبعة البرقي، دمشق، ١٣٨٠هـ، ١٩٦١.
١٧- المقدسي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن محمد، ت(٣٧٥هـ/٩٨٥م) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، اعتناء الاساتذة، دوزي، ويدغوية، طبع في ليدن، مطبعة بريل، ١٩٠٩.
١٨- ناصر خسرو (المتوفي في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) سفرنامة، ترجمة د. يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٤٥، ط/١.

١٩- اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب اسحاق بن جعفر، ت(٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) البلدان، وضع حواشيه محمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢، ط/١.